هذه هي العقدة

توقفت قليلا قبل ايام، في مواجهة خبر صغير في احدى الصحف الصهيونية الهابطة، عن "الرأس اليهودي" الذي حصل على الحصة الكبرى من جوائز نوبل. ولان مسألة "الرأس اليهودي" هذه عولجت كثيرا على امتداد التاريخ المعاصر، ولانني اسهمت شخصيا في معالجتها، فقد قذفت الصحيفة الهابطة جانبا وانتقلت الى صحيفة هابطة اخرى بحثا عن مادة تصلح للمعالجة.

التاسعة مساء على شاشة التلفزيون الاسرائيلي حين امتلأت الشاشة فجأة برأس السيد شمعون بيرس اليهودي (اليهودي تعود هنا الى الرأس!).

كان بيرس يقف خطيبا في جمهرة من جماعته حين قال: "تتحدث سورية عن الرغبة في تحقيق التوازن الاستراتيجي مع "اسرائيل"، لكن التوازن الاستراتيجي لا يتحقق بين الجيوش بل بين الشعوب"..

لسنا بحاجة الى "رأس يهودي" حتى نفهم أن شمعون بيرس يريد "طمأنة" السوريين الى انهم لن يحققوا التوازن الاستراتيجي، لان الرأس الذي يواجههم ليس رأسا بشريا عاديا بل هو رأس يهودي!

إنها الحالة المرضية ذاتها التي انتجت الصهيونية منتجة بذلك

الحارس الامين على الحالة المرضية ذاتها. فان الصهيونية لا تعمل على خلق التوازن الطبيعي بين "اليهودي" وبين "المجتمع البشري" بل تعمل جاهدة على استمرار "التناقض" المفتعل بين اليهود والغوييم "الاغيار".

وهنا ينشأ التناقض الحقيقي بين الصهيونية وبين نفسها. فمن جهة ترفع هذه الحركة لواء انقاذ اليهود واعطائهم مكانا طبيعيا تحت الشمس وبين الشعوب، ومن جهة اخرى تضع مبدأ "العدو الخارجي" في صلب ايديولوجيتها وممارستها، بحيث يبدو ان اليهود لا يستطيعون البقاء الا بوجود عدو خارجي .. ولما كان العدو الخارجي يتجسد في ما يسمى باللاسامية فهذا يعني ان الصهيونية التي جاءت لتنقذ اليهود من اللاسامية تصر بوعي كامل على ضرورة استمرار اللاسامية كشرط لاستمرار اليهود واليهودية.

إن الوجود اليهودي في الفكر الصهيوني هو وجود سلبي -وجود لا يكمل الاخرين بل يتناقض معهم ويحقق ذاته من خلال هذا التناقض .. وهنا يكمن عجز الصهيونية المأساوي عن تقديم حل لليهود يضمن لهم انسانيتهم ويتيح لهم وجودا تكامليا مع العالم.

وتضع الصهيونية اتباعها في غيبوبة دائمة عن حقائق التاريخ البشري وتحجب عنهم معادلات الحياة وتفاعلاتها الجوهرية، فحين يمنح صحفي مستلب مثل ايلي فيزل جائزة نوبل للسلام فان ذلك لا يتعدى كونه رشوة او مكافأة صغيرة عن اتعاب كبيرة تقدمها الصهيونية في خدمة المصالح الرأسمالية الاوروبية والامريكية. انها اشبه بقطع الحلوى التي يقدمها مروضو السيرك للفيل او للحصان لاستدراجه الى القيام بدوره على أكمل وجه.

واذا كان هناك يهود اخرون قد حصلوا على هذه الجائزة في

موضوع الفيزياء او الرياضيات فان الاشارة الى يهوديتهم تبدو سخيفة تماما كالاشارة الى نصرانية الفائزين الاخرين او اسلامهم.

وحين منحت هذه الجائزة الى السادات وبيغن فهي لم تمنح للرأس اليهودي او للرأس العربي بل منحت للرأس الامبريالي الطامع الى تصفية القضية الفلسطينية والشعب الفلسطيني والرأس الفلسطيني!

ومن الامور المضحكة فعلا ان يتشبث بعض المهاينة بنظرية "التفوق" العرقية التي لا تنسجم مع الواقعين العلمي والسياسي.

فعلى الصعيدين العملي والسياسي، منيت نظرية التفوق العرقي بهزيمة نكراء وبسقوط كامل يتجسد في سقوط النازية التي الحقت "بالعرق اليهودي المنحط" ويلات وكوارث لا ينبغي ان تنسى، دون ان تتمكن من البرهنة على تفوق العرق الاري او انحطاط العرق اليهودي.

ثم ان اليهود الذين يشكلون خليطا من جنسيات واعراق عديدة لا ينبغي الزج بهم في صراع عرقي وهمي وموهوم. واذا كان العدو الخارجي (اللاسامية) قد فشل في عزلهم عن المجتمع الدولي فان الصهيونية تحاول إنجاز ما عجز هذا العدو عن انجازه، الامر الذي يشكل تهديدا مباشرا لليهود ولليهودية على السواء. ذلك ان الصهيونية اختارت الانحياز الى الجانب المظلم من المجتمع الدولي، جانب الاستعمار والاستغلال والعنصرية، الجانب الذي الحق باليهود وبشعوب الارض قاطبة ويلات لا تنسى ولا تغفر!

من الامور المعروفة في علم النفس ان عقدة "الشعور بالتفوق" هي الوجه الاخر لعقدة "الشعور بالنقص" وهي في كثير من الاحيان رد غير واع وغير مدروس على عقدة الشعور بالنقص... وتظل

العقدتان -العقدة، ظاهرة مرضية تستدعي التشخيص الدقيق والعلاج السريع والمواظب.

كيف يتم التشخيص وكيف يجري العلاج؟ هذه هي العقدة!!.

«صوت البلاد» ١٧ كانون الاول ٨٦